مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (4): 1112-1127، 2021

Research Article

Open Access

الدولة الفاطمية في أفريقية

أبوبكر صالح السنوسي حسين[1]، إدريس عبدالنبي حامد الجوير[2]

1. كلية السياحة والآثار، جامعة عمر المختار

2. كلية السياحة والآثار، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/fqmvqr42

المستخلص: يتناول البحث دراسةً تاريخيةً لدولةٍ علويةٍ شيعيةٍ نشأت في أفريقيا، ثم امتد نفوذها إلى المغرب ومصر، كما يسلط الضوء على الخلافات حول نسب مؤسسي هذه الدولة. ويركز البحث بشكل خاص على دور الداعية أبو عبد الله الشيعي في تأسيس الدولة، والتحديات التي واجهتها الدولة الفاطمية.

الكلمات المفتاحية: الدولة العلوية الشيعية، أبو عبد الله الشيعي. أفريقيا.

The Fatimid State in Ifriqiya

Abu Bakr Saleh Al-Senussi Hussein[1], Idris Abdulnabi Hamid Al-Jawir[2]

1. Faculty of Tourism and Archaeology, Omar Al-Mukhtar University

2. Faculty of Tourism and Archaeology, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: The study explores a historical Alawite Shiite state in Africa, its expansion to the Maghreb and Egypt, and founder lineage controversies. It focuses on missionary Abu Abdullah al-Shi'i's role in establishing the state and the challenges faced by the Fatimid dynasty.

Keywords: Alawite Shiite state, Abu Abdullah al-Shi'i. Africa.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة دولة علوية شيعية قامت في أفريقية ثم امتد نفوذها إلى أجزاء واسعة من المغرب العربي ووصلت إلى مصر ، و تناول أيضاً نسب مؤسسي هذه الدولة ، حيث نسبوا أنفسهم إلى آل البيت رضي الله عنهم ، وتمت دراسة بعض أراء المؤرخين الذين شككوا في هذا النسب ، وكان لداعيتهم أبو عبد الله الشيعي النصيب الأوفر من الدراسة في طريقة وصوله إلى المغرب العربي ، وكيف بدأت هذه الرحلة انطلاقاً من اليمن إلى مكة المكرمة ثم مصر إلى أن وصل إلى مبتغاه ؟ وكيف تم استقباله هناك ؟ وما هو الأسلوب الذي اعتمد عليه في استمالة أهل المغرب ؟ وكيف حاول استغفالهم ؟ واستطاع أن يُكون دولة علويه شيعيه في المغرب العربي . بدأت بخلافة عبيد الله المهدي الذي حاول بدوره المحافظة على المكتسبات التي حققها داعيته ابو عبد الله الشيعي في توطيد أركان هذه الدولة رغم الثورات التي عاصرت فترة حكمه ، وكذلك الاضطرابات التي نتجت عن اغتيال داعيته أبو عبدالله الشيعي وأخيه ، وقد استمرت هذه القلاقل والثورات حتى في عهد من خلفه من أبنائه واحفاده ، فقد واجه ابنه القائم بأمر الله هذه الثورات وأرهقت دولته كما واجهها المنصور إلى أن تم القضاء عليها في عهد المعز لدين الله الذي بداء في التفكير إلى أبعد من ذلك وهي مصر والمشرق الإسلامي وتطرق البحث إلى اهتمام الفاطميين بالبناء والعمران ، والذي لم يكن لهم به الشيء الكثير إلا بناء مدينة المهدية ، والتي كان الغرض من بنائها حصن يحميهم من الأعداء وبناء مدينة صبرة والتي تم تغيير اسمها بالمنصورة نسبة إلى الخليفة المنصور وقد اصطدم الفاطميون بأهل طرابلس وأهل برقه إلى ان انتصروا عليهم ووصلوا إلى مصر والمشرق الإسلامي .

المقدمة :

استطاع الفاطميون إقامة دولة لهم بالمغرب العربي عام (297ه-909م) ولم يكن قيام هذه الدولة صدفة إنما سبقها تنظيم دقيق ودعوة ،وفقدوا في سبيلها الكثير من دعاتهم ، وجاهدوا في سبيلها جهاد حربي طويل إلى أن استطاعوا توطيد أركان دولتهم ، فقد سلكوا في بدايتهم مسلك العباسيين عند تأسيس دولتهم ، ومهدوا بالدعوة إلى الفكرة في مصر والمغرب واليمن وأصبح لهم اتباع واستطاعوا أن يستميلوا وزراء العصر الأخير للأغالبة . فقد كان لداعيتهم أبو عبدالله الشيعي الفضل الكبير، في قيام دولتهم فقد حشد الجيوش من اتباعهم لمواجهة دولة الأغالبة في المغرب الأدنى ، إلى أن تم القضاء عليها سنة 296ه وامتد نفوذهم إلى أجزاء المغرب العربي وقضوا على دولة الرستميين في المغرب الأوسط كما انهوا حكم الأدارسة في المغرب الاقصى ، وبدأت أطماعهم تتجه نحو المشرق الإسلامي ، حيث وجهوا عدة حملات على مصر والتي لم تنجح إلا في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الفاطمي ، حيث تم دخولها على يد القائد الشهير جوهر الصقلي سنة (358ه/969م).

أهمية الدراسة:-

تكمن أهمية الدراسة في التعرف على نشأة الدولة الفاطمية وكيفية قيامها وكيف استطاع بعض الاشخاص المتخفيين الوصول إلى أفريقية ونشر مذهبهم بهذه السهولة واليسر ، كذلك معرفة كيف استطاعوا ان يوهموا الناس بأنهم من ذرية علي بن ابي طالب رضي الله عنه . واقناع القبائل التي كانت تقطن هذه المنطقة بتبعيتهم والسيطرة على هذه الرقعة الواسعة من الأرض والتي كانت تحكمها ثلاثة دول منفصلة وهي دولة الأغالبة في المغرب الأدنى ودولة الرستميين في المغرب الأوسط و دولة الأدارسة في المغرب الاقصى .

أهداف الدراسة:-

الهدف الرئيسي هو أخذ منحى جديد لدراسة هذه الدولة من حيث أنها لم تقم على أحداث تاريخية ومعارك وحروب بل قامت على نشر مذهب جديد لم يكن موجود وهو المذهب الشيعي حيث اعتمدوا في تكوين دولتهم على سلب عُقول الناس ، وتغيير وجهة نظرهم في الدولة الحاكمة فقد استغلوا العاطفة وحب الناس لآل البيت ولعبوا لهم على وتر أنهم من أبناء علي بن ابي طالب و فاطمة الزهراء. إلى أن اكتسبوا اتباع ومناصرين ، ثم بدأوا بتغيير سياستهم من اللين إلى سياسة العنف والحروب .

وقد اتبع البحاث في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي والتحليلي ، القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها الموثوقة بالإضافة الى المراجع الحديثة التي تناولت هذا الموضوع ثم القيام بالفحص والتدقيق والتحليل للوصول إلى افضل النتائج .

وتم تقسيم هذه الدراسة إلى خمسة مباحث :-

المبحث الأول جاء بعنوان الدولة الفاطمية النشأة والتطور

تناولنا فيه نشأة الدولة الفاطمية وتشكيك بعض المصادر التاريخية في نسبهم وترجيح بعض الآراء الأخرى كما تناول هذا المبحث ، عقيدتهم حيث اعتنق كثيراً منهم عقيدة فاسدة .

وجاء المبحث الثاني بعنوان : **تكوين الدولة الفاطمية في افريقيا : حيث تناولنا فيه** داعيتهم أبو عبد الله الشيعي ، وكيف وصل إلى المغرب ؟ وتناولنا في هذا المبحث ايضاً سهولة قيام هذه الدولة رغم وجود هذه الرقعة الجغرافية تحت سيطرة الدولة العباسية القوية وبعض الدول الاخرى في المغرب العربي .

وجاء المبحث الثالث بعنوان : **خلفاء الدولة الفاطمية في افريقيا : تناولنا فيه** تسلسل مدة حكم خلفائها ابتداء بعبيد الله المهدي وانتهاء بالمعز لدين الله الفاطمي .

أما المبحث الرابع فجاء بعنوان : **جهود الفاطميين المعمارية : تناولنا** فيه انجازات الفاطميين في البناء والعمران في المغرب

وحاء المبحث الخامس بعنوان :اصطدام الفاطميين بأهل طرابلس وبرقة : وتناولنا فيه ثورات اهل طرابلس وبرقه ضد الفاطميين

ثم جاءت خاتمة البحث تبين النتائج التي تم التوصل اليها في هذه الدراسة .

الدولة الفاطمية في أفريقية

المبحث الأول جاء بعنوان

الدولة الفاطمية النشأة والتطور

المبحث الثاني :-

تكوين الدولة الفاطمية في افريقيا

المبحث الثالث :-

خلفاء الدولة الفاطمية في افريقيا

المبحث الرابع :-

جهود الفاطميين المعمارية

المبحث الخامس :-

اصطدام الفاطميين بأهل طرابلس وبرقة

المبحث الاول:- النشأة والتطور.

- نسب الفاطميين

اعتقدت بعض الطوائف الشيعية أن الإمامة قد استقرت في الحسين وأولاده من بعده (1) وما لبث أن انقسمت هذه الطائفة بعد وفاة جعفر الصادق سنة 148ه -765م إلى طائفتين هما الموسوية والإسماعيلية التي ينسب إليها الفاطميون (2) وقد انتقلت إمامة الإسماعيلية بعد وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنه محمد والتي اتخذت في عهده الدعوة الإسماعيلية شكلاً سرياً وذلك خوفاً من اضطهاد العباسيين لهم (3) وقد اختلفت الآراء حول نسب الأئمة فمنهم من أنكر انتساب الفاطميين إلى علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم ، (4) وقد اصبح من الصعب معرفة ائمة الفاطميين ولمن ينتسبون حتى على اتباعهم وخلصائهم نظرا لاحتجابهم ، حيث كانت الفرقة الإسماعيلية المبكرة حريصة على حجب أئمتها في مرحلة الستر والكتمان ، حجابا تاما (5) وبالرجوع إلى المصادر الإسماعيلية لم نجد نسبا لهم يثبت انهم من آل البيت . وقد اعتمدوا على مبدأ التقية وعدم كشف أولئك الأئمة الذين سترهم الله وعاشوا في ظروف غامضة ،قبل عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية في أفريقية والذي سيتم الحديث عنه في المبحث الثالث من هذا البحث .

في حين نجد أن بعض المصادر ذكرت أن عبيد الله المهدي هذا جده هو عبدالله بن جعفر الصادق (6) وقد ذهبت الكثير من المصادر السنية إلى أن عبيد الله المهدي ليس سليلا لمحمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، فقد رأى فريق منهم أن عبيد الله المهدي ابن لرجل يهودي كان يعمل حداداً في مدينة " سلمية "، فلما مات الأب اليهودي الحداد تزوجت أرملته - والدة عبيد الله – من أحد العلويين الذي قام على تربية الغلام ، فلما بلغ مبلغ الشباب ادعى أنه علوي من بيت النبوة (7) و ذهب فريق أخر من أهل بغداد خاصة والعراق عامة إلى أن عبيد الله المهدي من نسل عبد الله القداح الذي كان مولى لجعفر الصادق ، وزادوا على ذلك أن بعض الدعاة سألوا المعز لدين الله الفاطمي حين استقر في مصر عن نسبته إلى القداح فأجاب قائلاً : نعم هو قادح زناد الفكر ، ولم يزد على ذلك (8) أما المغاربة الذي كان يعيش بين ظهرانيهم فقد قالوا :إنه من أعقاب عبد الله بن سالم البصري ، أما دولة الخلافة في بغداد فقد أصرت على أنه مقدوح في نسبه ، ففي عصر الخليفة القادر بالله (381-422ه)عقد محضر في بغداد قرر فيه علماؤها وأعيانها وسادتها وقضاتها أن نسب أولاد المهدي مقدوح فيه وأنهم كاذبون في انتسابهم لجعفر الصادق (9)

وبالتالي نجد أن المصادر السنية أنكرت انتساب الفاطميين إلى علي وفاطمة –رضى الله عنهم خاصة ، والى آل البيت عامة وملخص أرائهم في ذلك ، ان عبيد الله المهدي من سلالة ميمون القداح الذي ينتهي إلى ديصان وإن عبيد الله هذا كان داعية وحجة وحجاباً ، للإمام المستور الحسين بن احمد وأنه استلم الإمامة بصفته إمام مستودع ، لينقلها إلى أبي القاسم محمد بن الحسين بصفته الإمام المستقر ، والذي سيتولى الخلافة الفاطمية بعد عبيد الله المهدي وسيتلقب بالقائم (10) و خلاصة القول فالذين أنكرو نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة يعتبرون على حق إن قصدوا عبيد الله المهدي ولكن يكون الصواب قد جانبهم إن قالوا بأن كل الفاطميين كانوا من سلالة ميمون القداح .

- **عقيدتهم :**

إذا نظرا إلى عقيدتهم في بادي الأمر فنجدهم يؤدون الفرائض من صلاة وصوم وزكاة وحج ، غير ان شطحات من الغلو جنحت بأكثرهم إلى مهاوي الزلل ، فضلاً عن السرية التي فرضها فريق منهم على العقيدة وجعلها جزءاً منها ، ومن هنا كان الحديث عن عقيدتهم أمراً ليس من اليسر بمكان في نطاق هذه السرية التي تبناها بعض القوم ورفضوا أن يحيدوا عنها برغم زوال كل سبب منطقي يمكن ان يكمن وراءها ، (11) وقد اطلق الشهرستاني على غلاتهم النصيرية ، ربما لإبعادهم عن الأمامية الجعفرية ، ومن عقيدة غلاتهم تالية الأئمة من آل البيت وجعلهم للإمام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، قداسة إلهية ، وهم يرون أن النبي - صلى الله عليه وسلم -مختص بالظاهر ، وأن علياً مختص بالباطن . ويقولون إن النبي كان مختص بحرب المشركين ، وأما علي فمختص بحرب المنافقين وانه كان مخصوصاً بتأييد إلهي (12) ويعتقدون إن علياً يسكن السحاب ، والرعد صوته ، والبرق ضحكته ، وهم لهذا يعظمون السحاب ومنهم من يعتقد أنه يسكن في القمر أو الشمس. (13) وكذلك من عقائدهم تناسخ الأرواح ، فالذين لا يعبدون علياً يولدون من جديد على شكل إبل او حمير ، أما المؤمن (هو من يعبد علياً عندهم) فيتحول عندهم سبع مرات ، ثم يأخذ مكانه بين النجوم ، ومن ينحرف منهم يولد من جديد ، حتى يتطهر ويكفر عن سيئاته(14) ولهم أعياد يحتفلون بها يقدمون فيها النبيذ ويرتكبون الفواحش وهي عيد الغطاس والبربارا ، وهما عيدان نصرانيان ، وعيد النيروز وهو عيد مجوسي (15) وللأمانة لم يكونوا غلاه جميعهم فكان منهم بعض المعتدلين الذين كابدوا الكثير من المتاعب الوجدانية والنفسية نتيجة لتصرفات الغلاة الذين نالوا بغلوهم قولا وفعلا من جلال المذهب الذي هو في اصله إمامي جعفري شيعي (16)

المبحث الثاني :-

تكوين الدولة الفاطمية في أفريقية

عندما قامت الخلافة العباسية على أنقاض الخلافة الأموية ،رفض العلويين الدخول في طاعتهم ، واعتبروهم مغتصبين للخلافة ، واعتبروا أن العباسيين خدعوهم منذ ذلك الحين واستمر النزاع بينهم طوال العصر العباسي الاول .

واتخذ الفاطميين في نشر دعوتهم شكلاً سرياً وذلك خوفاً من اضطهاد العباسيين لهم ، واتخذوا من مدينة "سلمية" دار الهجرة التي اصبحت مركزاً لهذه الدعوة (17) وكان من أشهر دعاتهم في بلاد اليمن ابن حوشب الذي استطاع أن يسيطر على أجزاء من اليمن وأرسل دعاته إلى اليمامة والبحرين والهند والسند ومصر والمغرب (18) وقد بعث ابن حوشب الداعيين أبا سفيان والحلواني إلى المغرب سنة (245ه)وقال لهما إنكما تدخلان أرض بوراً لم تحرث قط - وعند وصولهما الى أرض المغرب وأخذا يدعوان إلى مذهب الشيعة . وقد تمكنا من استمالة كثير من قبيلة كتامة وغيرها من قبائل البربر(19) ولكن كل المصادر التي تحدثت عن هذه الدعوة ترجع الفضل فيها إلى الداعية عبدالله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية في أفريقية (20) حيث تذكر المصادر أن عبدالله الشيعي كان من رفاق ابن حوشب القائم ببلاد اليمن وقد أرسله إلى بلاد المغرب بعد وصول خبر وفاة الحلواني وابي سفيان حيث قال لهُ: إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر موطأة ممهده لك (21) وقد خرج عبدالله الشيعي في موسم الحج من اليمن

قاصد مكة المكرمة وتقابل هناك مع بعض الحجاج الكتاميين ووجد لديهم الماماً ومعرفه بالمذهب الفاطمي (22) تمكن أبوعبدالله الشيعي بذكائه وحيلته ان يستدرجهم ويعرف جميع حولهم ، ومازال بهم حتى سلبهم عقولهم بسحر بيانه ،وما أوتي من فضل اللسان والعلم ثم رحل معهم إلى مصر ، وتظاهر أمامهم، انه يريد الإقامة لطلب العلم ، وهو يخفي غرضه الحقيقي ، ولكنهم قد تعلقوا به لما شهدوه من ورع وزهد لذلك رجوه أن يذهب معهم الى بلادهم وقالوا لهُ : إن بلادنا أنفع لك واطوع لأمرك ، ونحن أعرف بحقك ومازالوا به حتى اجابهم إلى المسير بصحبتهم (23) ولما أصبحوا على مقربة من بلادهم ، خرج إلى لقائهم أصحابهم الذين انتشرت بينهم تعاليم الشيعة على يد الدعاة السابقين (24) ووجد أبو عبدالله الشيعي الأمور ممهدة لهُ كما وجد التشيع قد استقر في عقول البربر واعتنقه كثيرا من وزراء دولة الأغالبة التي كانت تحكم باسم العباسيين . وأكرم أهل كتامة وفادة أبو عبدالله الشيعي وأحلوه من أنفسهم محل الاجلال والاكرام وتهافت كل منهم على انزاله في بيته ،وكشف عن نواياه لرجال كتامة ، وقال لهم :(انا صاحب البذر الذي اخبر به أبو سفيان والحلواني فازدادت محبتهم لهُ وعظم أمره فيهم واتته القبائل من كل مكان)(25) واخذ يعمل على بسط نفوذ الشيعة في أفريقية فوقعت على يد جنوده عدة مدن وكان من ضمن الاسباب التي ساعدة على تقدم جيشه في الفتوحات موت إبراهيم الثاني بن أحمد الأغلب أمير الأغالبة بأفريقية سنة 291ه في الوقت الذي كان فيه وزراء الأغالبة يعملون على نجاح دعوة أبو عبدالله الشيعي مما ادى إلى زوال دولة الأغالبة وامتداد نفوذ الفاطميين في ذلك الوقت إلى اكثر أجزاء بلاد المغرب حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة إلى الغرب من مدينة القيروان (26) و أرسل أبو عبدالله الشيعي وفدا من كتامة إلى عبيد الله المهدي بسلمية ، لإخباره بما تم لهُ من فتح ونصر في أفريقية على بني الأغلب وطلبوا منه الرحيل معهم إلى بلاد المغرب فوافقهم على ذلك (27) وقد لقي عبيد الله المهدي الشدائد والصعاب أثناء سفره ، وعند وصوله لمصر وبرقة وطرابلس وازاء هذه الصعاب استطاع أن يفلت بحاشيته ويتوجه إلى "قسطيلية" بدل أن يذهب إلى القيروان ، ثم وصل إلى مدينة "سجلماسة " حيث أكرمهم أميرها (اليسع بن مدرار) الذي لم يعرف حقيقتهم . وبعد سقوط دولة الأغالبة ، اكتشف حكام سجلماسة أمرهم لذى أمر (اليسع بن مدرار). حيث قبض عليه هو وابنه ، واودع السجن ، إلى أن دخلت جيوش أبو عبدالله الشيعي إلى "سجلماسة "واخرج من سجنه وعادو به إلى رقادة في ربيع الأول سنة 297ه، و وأخذت لهُ البيعة بالخلافة وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين و خطب لهُ على منابر أفريقية ، وبذلك قامت دولة الفاطميين في المغرب العربي . (28)

مقتل أبو عبدالله الشيعي:

يعتبر أبو عبدالله الشيعي هو صاحب الفضل الأول في تمكين الفاطميين في المغرب ، وبالتالي فقد علت مكانته بين الأهالي في بلاد المغرب عامه ،وقبيلة كتامة خاصة ، و هذا العلو الذي حضي به اثار حفيظة عبيد الله المهدي وحنق عليه وخاف أن يضعف نفوذه ، فأمر بقتل كل من أبو عبدالله الشيعي وأخيه العباس في جمادى الاخرة سنة 298ه(29) وذكر بعض المؤرخين أن الخلاف وقع بينهم على الأموال التي استأثر بها عبيد الله المهدي وبعض آخر يرى أن أبو عبدالله الشيعي شك في عبيد الله المهدي انه ليس المهدي المنتظر والذي كان يعتقد انه هو .

ومهما كانت الأسباب فإن عبيد الله المهدي أراد أن يتخلص منهما فأمر جماعة من أنصاره أن يترصدوا لهما ويقتلوهم ، فأخذوا يترصدونهما حتى تم لهم ذلك (30)

المبحث الثالث :

خلفاء الدولة الفاطمية في افريقيا

1- عبيد الله المهدي**(297-322ه/910–934م)**

عبيد الله أبو محمد ، أول خلفاء الباطنية بني عبيد أصحاب مصر والمغرب وهو داعي كذاب ادعى أنه من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب والمحققون متفقون على انه ليس بحسيني ، وما قاله المعز صاحب القاهرة: وقد سأله ابن طباطبا العلوي عن نسبهم فجذب سيفه من الغمد وقال : هذا نسبي ونشر على الحاضرين والأمراء الذهب وقال : هذا حسبي (31)

ويورد الذهبي نص عن أبو الحسن القابسي صاحب المخلص رحمة الله عليه إذ يقول : (إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة ألاف رجل في دار النحر بالتعذيب ، ما بين عابد وعالم عن الرضاء من الصحابة فاختاروا الموت) (32)

أخذ عبيد الله المهدي يعمل على توطيد حكمه وبسط سيطرته ، لاسيما على المناطق التي لم تخضع بعد للسيادة الفاطمية ، وفي سبيل ذلك أرسل عماله إلى الولايات المختلفة،وأختارهم من زعماء كتامة وممن يثق فيهم من المغاربة (33) ووجه عنايته إلى اخضاع قبائل صنهاجة بالمغرب الاقصى والقضاء على نفوذ الأدارسة في فاس ، وعهد بذلك إلى قائده مصالة بن حبوس الذي نجح في الاستلاء على كل مناطق الصنهاجيين سنة 308ه (34) وتوفي عبيد الله المهدي في الرابع عشر من ربيع الاول سنة (322ه934م)(35)

2- القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (322-334ه/934-946م)

تولى الخلافة بعد وفاة أبيه وتلقب بالقائم بأمر الله ، وقيل أنه أخفى خبر موت والده لمدة سنه خوفا من الثورة عليه ولتدبير امره (36) وكان والده قد أعده اعداد جيدا ، وهذه ما جعله يتصدى بكفاءة كبيرة للثورات التي اندلعت في عهده (37) وكانت أولى هذه الثورات ثورت ابن طولون في نواحي طرابلس حيث أن هذا الشخص زعم أنه المهدي المنتظر إلا أن أهل طرابلس، منعوه من الدخول خوفاً من بطش القائم بهم وقتلوه بعد ان اظهر كذبه (38) ثم ثارت ضده قبيلة زناته بقيادة شخص يدعى أبي يزيد مخلد بن كيداد و كان هذا الشخص يميل إلى مذهب الخوارج الإباضية كما كان يكره الشيعة ويبغض المذهب الإسماعيلي ويحنق على الفاطميين ، واشتدت شوكته بالمهدية والقيروان (39) ويرى بعض المؤرخين أن ثورة أبي يزيد كانت ذات طابع وطني الغرض منها إنشاء حكومة من البربر لا يشترك فيها العرب فقد رأوا انهم بذلوا جهدهم في إقامة الدولة الفاطمية، إلا أنهم لم ينالوا شيئا مقابل ذلك ، لذا تزعم شخص من البربر ثورتهم (40) ولكن هذه الثورة لم يُكتب لها النجاح حيث انصراف الناس عنه بسبب استحلاله لدماء المسلمين وتكفيرهم وأدت في النهاية إلى هزيمة أبي يزيد (41) وتوفي القائم بأمر الله في الثالث عشر من شوال سنة (334ه) واستمرت مدة خلافته حوالي اثنا عشر سنه قضاها في توطيد أركان دولته واخماد الثورات .

3- المنصور أبو طاهر إسماعيل (334-341ه/946-953م)

تولى الخلافة بعد وفاة أبيه القائم في الثالث عشر من شوال سنة 334ه وقد اخفى كالعادة وفاة أبيه، خوفاً من أن يطمع فيه أبي يزيد مخلد ولم يستلم الخلافة ، ولازال لم يغير السكة ،ولا الخطبة وبقى كذلك حتى فرغ من أمر أبي يزيد مخلد ،وقد كانت فترة ولايته فتره حرجه إذ كان عليه أن يتخلص من ثورة أبي يزيد ، هذه الثورة الخطيرة التي طال أمدها منذ نهاية عهد جده المهدي وطيلة خلافة ابيه حيث استمرت هذه الثورة سجال

إلى أن تحقق النصر للفاطميين في النهاية ودخلوا القيروان سنة (335ه/947م)(42) واتجه المنصور عقب قضائه على ثورة أبي يزيد إلى تهدئة ثائرة البلاد وتدعيم سلطة الدولة كما اتبع سياسة المهادنة مع رعاياه حتى يأمنوا إليه ونجح في استمالة بعض زعماء زناته ، واستعاد السيطرة على بعض المدن الهامة ،كما حظى بقبول عند جمهور المسلمين حين نجحت مساعيه مع القرامطة فأعدوا الحجر الاسود إلى مكانه وكانوا قد اقتلعوه لدى غزوهم مكة سنة (317ه/929م)(43) ولكنه في أواخر ايامه عاد إلى سياسة اضطهاد أهل السنة وفرض التشيع القبيح في انحاء دولته (44) وتوفي المنصور في أول ذي القعدة سنة 341ه وكانت مدة خلافته حوالي سبع سنوات في اخماد الثورات وتوطيد أركان دولته .

4- المعز لدين الله (341 ه-365م)

تولى أبو تميم المعز لدين الله الخلافة ، بعد وفاة أبيه المنصور في أول ذي القعدة من سنة 341ه وتلقب بالمعز لدين الله وكان ابيه قد أعده للخلافة فعلمه علوم عصره كما دربه على الجندية منذ حداثة سنه بل أنه تحمل المسئولية وشارك أباه في الحكم أثناء مرضه فلما مات المنصور كتم خبر وفاته كما فعل أبيه وجده حتى استقرت لهُ الامور واتخذ من مدينة المنصورية حاضرة له واهتم باستكمال عمارتها (45) وعهده إلى جوهر الصقلي بإخضاع الأمراء الخارجين على سلطانه وسار جوهر نحو المغرب الأوسط والاقصى وسيطر على مدنه حتى وصل إلى ساحل المحيط الاطلسي وأقام الخطبة للمعز على جميع منابر المغرب (46) ورغم ذلك لم تستقر الأمور للفاطميين في بلاد المغرب لأن الأمويين نازعوهم السيادة عليه وترددوا بحملاتهم على المغرب الأقصى ، وعادوا استمالة قبائل زناته . وفي أواخر عهده اتجهت انظاره الى الاستلاء على مصر وأرسل قائده جوهر الصقلي إلى المشرق .

المبحث الرابع :

جهود الفاطميين المعمارية :-

مدينة المهدية :

بعد ان توطدت الأمور لعبيد الله المهدي وتخلص من أبو عبدالله الشيعي وأخيه وأخضع قبيلة كتامة أحس بحاجة إلى بناء مدينة يتحصن بها ويحفظ بها دولته الناشئة من الاعداء ، فقد كان مقر إقامته مدينة رقادة ولكنها لم تكن مناسبة لوجودها في سهل فسيح مما يجعلها عرضة للغزو من كل جانب ، لذى فكر المهدي في بناء حاضرة في مكان يتوسط أجزاء دولته ليتخذها حصنا يعتصم به ، ولتكون مركز للدعوة الاسماعيلية ، لهذا أثر المهدي أن يتخذ حاضرته على الساحل ، وكان المكان المزمع إنشاء المدينة فيه شبه جزيرة صخرية (47) وشرع في تشييد حاضرة التي اسماها المهدية على اسمه ، (سنة 300ه-915م) فأقام بها المباني والدور ، والحوانيت والدكاكين ، ورتب أرباب المهن فجعل لكل طائفه سوقاً خاصا بهم . كما أنشأ بها دار لصناعة السفن ، تسع مائتي مركب . وشيد في باطن الارض الاهراء لخزن الغلال ، والمؤاجل ، وصهاريج المياه وأجرى بها قنوات لتزويدها بالمياه . كما بنى بها القصور والمساجد ، وأحاط المدينة بسور ، وجعل الارض بين السور و البحر مرفأ محصناً بسلاسل حديدية (48) وانتهى المهدي من بناء مدينته المهدية سنة (305ه) وعندما اكتمل عمرانها انتقل للإقامة بها في سنة 308ه- 921م حيث اطمأنت نفسه ، وقال : "اليوم أمنت على الفاطميات " ، يعني بناته (49)

مدينة صبره :

بعد الانتصار المدوي الذي احرزه الخليفة المنصور على أبي يزيد مخلد كداد بأن خلد مكان هذه المعركة وبنى مدينة في هذا الموضع ، على مقربه من القيروان سنة (336 ه) واسماها صبره والتي اصبح اسمها المنصورة بعد ان قام بها المنصور سنة (337ه) واتخذها حاضرة لدولته وكان لهذه المدينة خمسة ابواب : الباب القبلي والشرقي ، وباب زويلة ، وباب كتامة ، وباب الفرج وكنت تخرج جيوش الفاطميين من هذا الباب ، وقد نقلت اسواق القيروان اليها ، كما رحل إليها كثير من الصناع فازدهرت فيها الصناعة والتجارة(50) من خلال الدراسة والتمحيص لاهتمام الفاطميين بالبناء والعمران فلم نجد لهم خدمة إجابيه ، فهم لم يعمروا من المدن إلا المهدية وصبره كما لم ينشئوا مسجد واحد يذكر لهم بالخير ، غير مسجد المهدية الذي كان خاص بهم .

المبحث الخامس :-

اصطدام الفاطميين بأهل طرابلس وبرقة:-

قدر للدولة الفاطميين ان تنجح في المغرب العربي و استقامت أمورها ، وبداء خليفتها الأول عبيد الله المهدي في توطيد أركانها ، وقام بأرسال بعض العمال على البلاد وكان والي طرابلس شخص يدعى (ما كنون بن ضبارة اللحياني)، ولكنه لم ينعم بهذه الولاية لأن أهل البلاد قد ثاروا ضده بقيادة زعيمهم ،(أبي هارون الهواري) من قبيلة هوارة البربرية ، كذلك زحفت جماعة من قبيلة زناتة ، ولماية ، وضربوا الحصار حول طرابلس وتحصن ما كنون داخل اسوار طرابلس حتى وصله المدد من عبيد الله المهدي بقيادة ابي زكي تمام بن معارك الاجابي الذي استطاع أن يفرق جمعهم (51) غير أن طمع الجميع في الوصول إلى الحكم، جعل من ابا زكي قايد المدد الذي ارسله عبيد الله المهدي يتآمر مع ابي عبد الله الشيعي واخيه ابي العباس على قتل المهدي الذي علما بالأمر فقام بالتخلص من ابا زكي بأن أمر عامله ما كنون بقتله وكذلك تم قتل أبو عبدالله الشيعي وأخيه بأن أمر جماعة من أنصاره أن يترصدوهم ويقتلوهم حتى تم لهم ذلك سنة (298ه- 910م) كما أشرنا سابقا ، وذلك في نفس اليوم الذي قتل فيه أبو زاكي.(52)

وقد نتج عن هذه الاحداث أن ثارا أهل طرابلس مرة أخرى على عامل طرابلس سنة (299ه/910م)واستاءوا من سياسة المهدي وكان لمقتل الشيعي الأثر الكبير الذي اتاح لقبيلة كتامة التسلط على الناس، ولهذه الأسباب ثار أهل طرابلس ، وفتكوا برجال كتامة وهرب ما كنون والي المهدي ، وولى الثوار عليهم محمد بن اسحاق القرشي المعروف بابن القرلين وقد حاول المهدي اخضاع طرابلس عدة مرات ولكنها بات بالفشل (53) ثم أرسل إليهم جيشا مرة أخرى بقيادة أبنه القاسم والذي كانت ترافقه بعض المراكب البحرية والتي تقدر بحوالي خمسة عشرة قطعة وخرجوا إليهم أهل طرابلس بأسطولهم ، وأحرقت مراكب المهدي وقتلوا من فيها ، أما الجيش البري فقد توجها نحو المدينة وتمكن من القضاء على بعض القبائل كقبيلة بهوارة ، وضرب الحصار على طرابلس وانعدمت الاقوات بسبب هذا الحصار وحصلت المجاعة حتى اضطر الناس إلى طلب الأمان ، فأمنهم على أن يسلموا لهُ بعض الأشخاص الذين كانت لهم يد في تحريك هذه الثورة ، وفرض على أهل طرابلس اموالاً عظيمه وغرمهم جميع ما أنفقه على تلك الحملة (54)

ويتضح من هذه الثورة ضد الفاطميين أن أهل طرابلس غير راغبين في حكمهم إلا أنهم خضعوا له بقوة السلاح ، وتوكد كتب التاريخ على دور علماء وفقهاء طرابلس وجهادهم في مواجهة هذا المد الشيعي الفاطمي الذي انتشر في الشمال الافريقي .

ثورة أهل برقة :-

عندما استقر امر العلويين في طرابلس أرسلوا جيوشهم نحو برقة بقيادة (حباسة بن يوسف الكتامي)، وكان قاسياً شديداً نُزعت الرحمة من قلبه ، وتوجه نحوها سنة (301ه 912م) ومر بسرت التي لازالت تحت حكم الأغالبة ، ودخلها بدون حرب وهجر اهلها وتقدم نحو اجدابية وهجر اهلها كذلك وسيطر على مدينة برقة وكانت الامدادات تأتيه دون انقطاع وكانت السياسة المتبعة لدى حباسة هي كلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيها فساد (55) **فقد** ارتكب حباسه أعمال شنيعة وفظائع في حق سكان برقة ،واغتاظ سكان برقة من هذه الافعال الشنيعة والأعمال القبيحة فأرسلوا إلى عبيد الله المهدي الذي أعتذر وحلف يميناً كاذبة أنه ما أمر بشيء من هذا وكتب إلى حباسة ان يرحل عن برقة واتى من هو اقبح من حباسة وهو اموري (56) الذي كانت سياسة نفس سياسة سلفه فثار عليه البرقاويون سنة (302ه/913م) وقتلوه وقتلوا كثيراً من رجال كتامة ، فأرسل المهدي جيوشه سنة (303ه/914م)لإخماد هذه الثورة وقاد هذه الجيوش (ابو مديني بن فروخ اللهيفي) وحاصر برقة ثمانية عشرة شهراً ودخلها سنة (304 ه/ 914م) وقتل العديد من أهلها وأحرق دورها (57)

الخاتمة

من خلال الدراسة تبيين أن شكوك بعض المؤرخون في نسبهم في محله ، وأن داعيتهم أبو عبدالله الشيعي قد وصل إلى المغرب بطرق غير شرعية حيث استعمل الخبث والدهاء مع حجاج المغرب العربي الذين وضعوا كل ثقتهم فيه كذلك الطريقة التي تم بها قتل هذا الداعية وأخيه تدل على همجيتهم وإن الغاية من هذه الدعوة هو

الوصول إلى الحكم لا كما يدعون أنهم من آل البيت ويريدون نشر الدين الإسلامي وبالتالي نُقيم مرحلة هذه الدولة على أنها مرحلة سلبية ، لأن حكامها لم يقدموا أي خدمة إيجابيه فلو نظرنا إلى البناء والعمران في المغرب العربي لم نجد لهم شيء يذكر إلا بناء بعض المدن الصغيرة مثل مدينة المهدية ، والتي كان الغرض من انشأها خاص بهم ولم تستفد العامة منه أي شيء كذلك مسجدها الذي كان خاصا بهم .

أما سياستهم المالية فكانت تقوم على جمع الاموال بشتى الطرق المشروعة والغير مشروعة والتي استعملوها لغرض الدعاية لنشر مذهبهم وتحقيق أهدافهم ، ولم يستفد أهل البلاد منها . وكذلك قاموا بتأجيج الصراع بين قبائل المغرب العربي وزرعوا بينها الفتنه مما أدى إلى نشوب العديد من الثورات ضدهم ، وقد سعوا إلى نشر مذهبهم الشيعي بأية وسيلة ، وحاربوا فقها المالكية السنة واصابوهم بأذى ، وسفكوا دماء كثيرة ، ولكنهم اصطدموا بواقع مرير ووصلوا إلى قناعة ان لا مستقبل لهم في بلاد المغرب التي أضحى أهلها كارهون لهم نتيجة لسياساتهم القمعية التي استعملوها مع قبائل المغرب العربي .

لقد أنكرت بعض المصادر السنية انتساب الفاطميين إلى علي وفاطمة –رضى الله عنهم خاصة ، والى آل البيت عامة وملخص أرائهم في ذلك ، أن عبيد الله المهدي من سلالة ميمون القداح الذي ينتهي إلى ديصان وان عبيد الله هذا كان داعية وحجة وحجاباً ، للإمام المستور الحسين بن احمد وأنه استلم الإمامة بصفته إمام مستودع ، لينقلها إلى أبي القاسم محمد بن الحسين بصفته الإمام المستقر .

لقد أدى الغلو بأكثرهم إلى مهاوي الزلل ، فضلاً عن السرية التي فرضها فريق منهم على العقيدة وجعلها جزءاً منها ، ومن هنا كان الحديث عن عقيدتهم أمراً ليس من اليسر بمكان في نطاق هذه السرية التي تبناها بعض القوم ورفضوا أن يحيدوا عنها برغم زوال كل سبب منطقي يمكن ان يكمن وراءها .

الهامش

(1) - المزيني صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، ط2، (1994م) بنغازي ص125.

(2) - المزيني :المرجع السابق ، ص 125.

(3) – سرور محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي ، (1966م) ص15-16-17.
(4) – حسين محمد قرني :تاريخ الدولة الفاطمية، ط1 ، (1431ه-2010م) القاهرة ،ص64.
(5) - المرجع السابق ، ص64.
(6) السابق ،ص64.
(7) - مصطفى الشكعة :إسلام بلا مذاهب ، ط2، (ب، ت) ،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ، ص239.
(8) – نفس المرجع ،ص239.
(9) نفسه ،ص239.
(10) حسين محمد قرني ،مرجع سابق ،ص65.
(11) مصطفى الشكعة ، مرجع سابق ، ص341.
(12) الشهرستاني : محمد عبدالكريم ، الملل والنحل ،تح محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2، 1395ه، ص169.
(13) ناصر العقل الفقاري : الموجز في الاديان والمذاهب ص138.
(14) المصدر السابق ، ص138.
(15) المصدر السابق ، ص139.
(16) حسن محمد قرني : تاريخ الدولة الفاطمية ،ص66.
(17) المزيني : مرجع سابق ، ص155.
(18) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب بيروت ، 1967م ، ج2,ص65.
(19) المقريزي :احمد بن علي بن عبدالقادر ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ،تح جمال الدين الشيال ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ط1، (ب – ت) ،ج1،ص54.
(20) احمد مختار العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس، مدريد (1975)ج5 ،ص193.
(21) المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج1، ص55.
(22) العبادي : مصدر سابق ،ص194.
(23) المقريزي مصدر سابق ج1،ص55.
(24) المصدر السابق ، ج1 ص 55.
(25) نفسه ، ج1 ،55.
(26) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ،(1959م) ج1 ، ص51.
(27) ابن خلدون : العبر ، ج4، ص60.
(28) ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار المغرب والاندلس، بيروت،1848م، ج1، ص151.
(29) راغب السرجاني : الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي ، مؤسسة أقراء ، القاهرة (ب-ت)ج1،ص416
(30) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،(ب –ت) ج135،6
(31) الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمد ، تاريخ الاسلام ، موقع الوراق ،ج5، ص452.
(32) الذهبي : المصدر السابق ، ج5، ص552.
(33) حسن : قرني : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص71.
(34) محمد جمال سرور الدولة الفاطمية في مصر ، ص29.
(35) الذهبي : تاريخ الاسلام ، ج5، 452.
(36) المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج1، ص74.
(37) محمد بركات البيلي ،ملامح تاريخ المغرب والاندلس ، القاهرة (2008م) ص477.
(38) المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج1، ص74.

(39) محمد بركات البيلي : ملامح ،ص478.
(40) محمد جمال سرور : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص31.
(41) المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج1، 77-78.
(42) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج1،ص220.
(43) عبادة كحيلة : المغرب في تاريخ المغرب والاندلس ،ط1997،1م ، ص81.
(44) محمد بركات البيلي : ملامح ،ص490.
(45) محمد بركات :نفس المرجع ، ص494.
(46) ابن عذاري :البيان المغرب ، ج1، ص222.
(47) المقريزي :اتعاظ الحنفا ، ج1 ،ص109.
(48) محمد بركات البيلي :ملامح ، ص437.
(49) المقريزي: اتعاظ الحنفا ، ج1، 71.
(50) حسن محمد قرني ، ص89.
(51) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ،ط1، مكتبة النهضة المصرية (1964م) ص85.
(52) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج6،ص 134.
(53) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج1، 186.
(54) صالح مصطفى المزيني : ليبيا منذ الفتح العربي ، ص141.
(55) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج1، ص170.
(56) احمد الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط3، دار التراث ص247.

قائمة المصادر والمراجع:-

اولاً المصادر-

1- ابن الاثير عزالدين ابو الحسن علي : الكامل في التاريخ ، دار احياء التراث ، بيروت ، الطبعة الاولى ،(1408ه/1989م).
2- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب ، بيروت ، 1967م.
3- الذهبي شمس الدين ابو عبدالله محمد ، تاريخ الاسلام ، موقع الوراق.
4- الشهرستاني : الملل والنحل ، الطبعة الاولى ، الازهر ،القاهرة ،(1366ه/1947م).
5- ابن عذاري :ابو عبدالله محمد بن يزيد المراكشي ،البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،دار الثقافة ، بيروت، الطبعة الثالثة (1983م).

6- المقريزي تقي الدين احمد بن علي : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، (1999م).

ثانيا المراجع العربية –

1- احمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ،مدريد ، (1975م)
2- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ،ط1، مكتبة النهضة المصرية (1964م)ص85
3- حسن محمد قرني : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ، (1431ه/2010م).
4- صالح مصطفى مفتاح المزيني : ليبيا منذ الفتح الربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قاريونس بنغازي .
5- الطاهر احمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط3، دار التراث العربي (ب- ت)
6- راغب السرجاني الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي ، مؤسسة اقرا القاهرة ، (2005م).
7- عبادة كحيلة : المغرب في تاريخ الاندلس المغرب ، ط1، بيروت ، 1997م.
8- محمد بركات البيلي : ملامح تاريخ المغرب والاندلس ، (ب – ت) القاهرة (2008م).
9- محمد جمال سرور : تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ،القاهرة (ب – ت).
10- مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ، الطبعة الثانية ، مكتبة الاسرة (2005م).

11- ناصر العقل الفقاري : الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة ، الطبعة الاول دار الصميعي ، (1413ه1992م).